كل منهما بوظيفته وفعل بها من الاجحاف ما سطر في صحيفته
فاحدث المترجم ديوانا خاصا بثغر رشيد على الغلال التي
تحمل الى بلاد الافرنج وسموه ديوان البدعة واذن
ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج وغيرها وجعل على كل
اردب دينارا خلاف البراني والتزم بذلك رجل سراج من اعوانه
الموصوفين بالجور وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة
وكلمة نافذة فجمع من ذلك اموالا وايرادا عظيما وكانت هذه
البدعة السيئة من اعظم اسباب فوت الفرنسيس وطمعهم
في الاقليم المصري مع ما انضاف لذلك من اخذ اموالهم ونهب
تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن واقتدى به امراؤه ونظراؤه
في ذلك وفعل كل منهم ما وصلت اليه همته واستخرجته
فطنته واختص السيد محمد كريم الاسكندراني ورفع
شانه بين اقرانه فمهد له الامور بالثغر وجرى احكامه
به وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبئات
الامور واخذ اموال التجار من المسلمين واجناس الافرنج حتى
تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس وكان هو اعظم
الاسباب في تملك الفرنسيس للثغر كما ذكر ذلك في قتلته
ومما سولت له نفس المترجم بارشاد بعض الفقها عمارة
جامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق وذلك ان هذا
الجامع لما خرب بخراب مدينة الفسطاط وبقية البلد تلالا
وكيمانا وخصوصا ما قرب من هذا الجامع لم يزل الجامع
في اضمحلال حتى مال شقه وسقفه وهدمته فعزم على تجديده
وعمارته ليرفع به دينه الخلق كما قال شاعرهم من قصيدته

شعر

ومسجد في فضا ما عمارته
فوق الصيانة الا هو مختلق
كان عمرو ادعايا عاص هم به
ورمه رقعة في دينك الخلق

فاهتم لذلك وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف
بالمصلي جعله مباشرا على عمارته واصرف عليه اموالا
عظيمة اخذها من غير حلها ووضعها في غير محلها واقام
اركانه وشيد بنيانه ونصب اعمدته وكمل زخرفته
وبنى به منارتين ووجد جميع سقفه بالخشب النقي
وبيضه جميعه فتم على احسن ما يكون وفرشه بالحصر
الفيومي وعلق به القناديل وحصلت به الجمعية اخر
جمعة برمضان سنة اثنى عشر ومائتين والف فحضر الامرا
والاعيان والمشايخ واكابر الناس وعامتهم وبعد انقضاء
الصلاة عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوي مجلسا واملى
حديث من بنى لله مسجدا وآية انما يعمر مساجد الله وعند
فراغه البس فروة من السمور وكذلك الخطيب وبالجملة
فمناقب المترجم لا تحصى واوصافه لا تستقصى وهو كان
من اعظم الاسباب في خراب الاقليم المصري مما تجدد فيه ومن
مماليكه واتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم وكان
صفته اشقر مربوع القامة كث اللحية غليظ الجسم والصوت
بوجهه اثر ضربة سيف ظالما غشوما قهورا مختالا معجبا
منكرا الا انه كان يحب العلما ويتأدب معهم وينصت لكلامهم

١١٥

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)